Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 8, Issue 3 (2024) • P: 108 - 99
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

Challenges of investing in heritage in the development plan in Morocco. The case of the Taza region – Morocco

Younes El Azzouzi
PhD researcher | Sidi Mouhamed ben Abdallah university | Morocco

Received: 20/01/2024
Revised: 03/02/2024
Accepted: 24/02/2024
Published: 30/03/2024

* Corresponding author: younes.elazzouzi@usmba.ac.ma

Citation: El Azzouzi, Y. (2024). Challenges of investing in heritage in the development plan in Morocco. The case of the Taza region – Morocco. *Journal of Humanities & Social Sciences, 8*(3), 99 – 108. https://doi.org/10.26389/AJSRP.Y200124

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The tangible heritage, which includes historical buildings, monuments, archaeological sites, and traditional arts, represents available resources that can contribute significantly to economic and social development processes. To preserve and value its cultural heritage, our country has launched many projects and initiatives supported by international bodies. This has enabled our country to learn about many elements of tangible and intangible cultural heritage at the international level, as well as to enhance its offers on cultural tourism.

The city of Taza is considered one of the historical cities in the Kingdom, which is full of diverse material and intangible heritage, in addition to a diversity of cultural activities. such as cinema, theatre, audio-visual production, drawing and music, However it is still suffering at the level of local development from ways to integrate the cultural component into achieving economic recovery that benefits the region, and historical buildings exist in a deteriorating and rigid state awaiting destruction due to natural factors, While buildings need interventions from sector officials to integrate them and bring them out of the state of stagnation into a means of generating income.

Keywords: Economy, Culture, Heritage, Archeology, Investment, Development.

تحديات استثمار التراث الأثري في مخطط التنمية بالمغرب. حالة إقليم تازة - المغرب

يونس العزوزي
باحث في التراث سلك الدكتوراه | مختبر التراب| التراث، التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس | المغرب.

المستخلص: إن التراث المادي الذي يشمل المباني التاريخية والمواقع الأثرية والفنون التقليدية، ويمثل موردًا ثمينًا يمكن أن يسهم بشكل كبير في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وحرصا منها على المحافظة على تراثها الثقافي وتثمينه، أطلقت بلادنا العديد من المشاريع والمبادرات تدعمها هيئات دولية. وهو ما مكن بلادنا من التعرف على العديد من عناصر التراث الثقافي المادي وغير المادي على الصعيد الدولي، وكذا تعزيز عروضه بشأن السياحة الثقافية. وتعتبر مدينة تازة من بين المدن التاريخية في المملكة التي تزخر بتراث مادي ولامادي متنوع، إلى جانب تنوع في الأنشطة الثقافية من سينما ومسرح وإنتاج سمعي بصري ورسم وموسيقى، لكنها ما زالت تعاني على مستوى التنمية المحلية من سبل إدماج المكون الثقافي في تحقيق انتعاش اقتصادي تستفيد منه الإقليم، كما أن المباني التاريخية توجد في حالة متدهورة وجامدة تنتظر الدمار بفعل العوامل الطبيعية، في حين تحتاج المباني إلى تدخلات من المسؤولين عن القطاع لدمجها وإخراجها من حالة الجمود إلى وسيلة من وسائل تحقيق الدخل.

الكلمات المفتاحية: اقتصاد، الثقافة، التراث، الآثار، الاستثمار، التنمية.

مقدمة:

في إطار التحولات الكبرى التي أصبحت تعرفها المنظومة الدولية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا منذ العقد الأخير من القرن العشرين، ومع تنامي فكرة المطالبة بالحكم الذاتي بتراب صحراء المغرب، جاء خطاب الملك محمد السادس يوم 03 يناير 2010 في إطار تنصيب اللجنة الاستشارية الملكية المكلفة بالجهوية. وقد وجه صاحب الجلالة عمل اللجنة في إعداد تصور عام لنموذج وطني لجهوية متقدمة تشمل كل جهات المملكة، وإيجاد نموذج مغربي/مغربي للجهوية نابع من خصوصيات بلدنا. وفي صدارتها انفراد الملكية المغربية بكونها من أعرق الملكيات في العالم (بالمغرب، 2014، صفحة 126). أصبح لزاما على كل جهة تدبير مواردها، وخلق تنمية محلية تشمل كل المجالات، لمحاربة التفاوتات وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية نابعة من إرادة سياسية وحكامة جيدة.

إن تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي الذي حمل عنوان اقتصاديات الثقافة نبه لأهمية وسائلها من سينما ومسرح وإنتاج سمعي بصري ورسم وموسيقى...، حيث أشار إلى المهرجانات المتنوعة الموضوعات التي تنظم ولقاءات كثيرة، عشرات المهرجانات في السينما والموسيقى، ومعارض للكتاب، وأيام التراث المادي واللامادي، وهي أنشطة توحي بوجود اقتصاديات الثقافة ببلادنا تحترم قواعد الاحترافية والإنتاجية، غير أن ضمان استمرارا وانتظام هذه الأنشطة يقتضي وجود بنيات إبداعية مستقرة، تستند إلى مؤسسات تكوين واحتضان وتشجيع مهيكلة، كما يقتضي ضمان انتظام هذه الأنشطة وفضاءات وأماكن عيش ثقافية تشتغل باستمرار. (والبيئي، 2016، صفحة 11)،

تلعب الثقافة دورا حاسمًا في التنمية الاقتصادية، ويعتبر اقتصاد الثقافة من القطاعات الهامة التي تسهم في إثراء الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهي جزء لا يتجزأ من الاقتصاد العام، كما أن الثقافة لها دور هام في تحديد مسار النمو الاقتصادي للدول والمجتمعات. يمكن أن تؤثر العوامل الثقافية على الاقتصاد بطرق متعددة.

تعيش المدن العتيقة في بلادنا حالة من التدهور، تختلف أسبابهما وتتعدد لكن النتيجة واحدة، ولعل أحد أهم الأسباب الحالة المادية للجماعة التابعة لهذه المدن يمكن ان نلاحظ ذلك في التقصير بالتدخل من حيث الترميم والمحافظة على جودة التجهيزات الأساسية والبنيات التحتية من قنوات للصرف الصحي وقلة التجهيزات الاجتماعية والتربوية ووسائل النقل كما تعاني من البطلة وضعف مداخيل الصناعة التقليدية، أما على المستوى التقني فهي تعاني من الإهمال ونوع من الهجران لمساكنها، هذا التقصير نلاحظه في البطء والتراجع المتراكمين في سياسة احتواء هذه الأنسجة وخصوصا فيما يتعلق بالمساكن المتواجدة بداخلها، كما ان عمليات الترميم التي تعرفها هذه الأنسجة من قبل الدولة والجماعات المحلية من أجل تحسين بنيتها التحتية لا تهتم إلا بجانب واحد من الجوانب المرتبطة بإعادة الاعتبار، الشيء الذي يضعف من فعاليتها لإيقاف مسلسل التدهور. هذه العمليات هي في الأصل عبارة عن تدخلات سطحية كترميم واجهات هذه المدن والمداخل والطرق، قنوات الصرف الصحي، البنيات المهددة بالانهيار وغيرها، دون التشخيص الدقيق.

بالإضافة إلى ما سبق نجد هذه المدن تعاني من قلة وملائمتها مع وظائفها الجديدة التي أنيطت بها وكذلك إلى الضغط الممارس من قبل تلك الوظائف على بنياتها ومجاريتها الحضرية، كما لا يجب أن نغفل نقطة مهمة تساهم في هذا التدهور وهو ما يصطلح عليه بالوجبة الكرائية القديمة، حيث أن هذه الدور تعرف حالة من التدهور بسبب قلة الصيانة من قبل الأشخاص المكترين لها، كما أن القاطنين في هذه المدن غالبيتهم من الطبقة الفقيرة، فهم يعجزون عن مواجهة مصاريف عمليات الترميم أو الصيانة.

إن غالبية هذه البنيات غير محفظة الشيء الذي يعيق تدخل المؤسسات المالية ويحد من المعاملات العقارية، كما أن بلادنا تعرف شبه انعدام للمقاولات المختصة وكذا الخصاص في مجال التكوين، مما يجعل من عملية التدخل غير ناجعة، كما أن تأطير عميلة الترميم لا تواكبها مؤسسة مختصة في هذا المجال (أشويطر، 2020، صفحة 120).

إشكالية الموضوع:

لتحليل الموضوع وجب أن نعرف:

- ✓ ما هي حالة المعالم الأثرية في هذه المدينة؟ وحجم التدخل لإنقاذها؟ ومحاولات التخطيط لإعادة إدماجها في خارطة التنمية؟
- ✓ ما الذي يمنع من دمج تراث مدينة تازة في مخطط التنمية المحلية؟
- ✓ ما هي سبل الادماج في السياحة الثقافية لتحقيق الازدهار للساكنة؟

أهداف الدراسة:

تازة من بين المدن التاريخية المغربية التي تتوفر على زخم تراثي هام، وتتوفر على العديد من المباني التاريخية التي تحكي تاريخ أمة، لكن المدينة تعاني جمودا وضعف استثمار المواقع التاريخية في التنمية وهذا ما يشكل تحدياً هاماً يستحق النقاش.

تعاني المواقع الثقافية التاريخية من نقص التمويل حيث غالباً ما يكون التمويل المخصص لصيانة وتطوير المواقع التاريخية محدوداً، مما يؤثر سلباً على جودة الصيانة والترويج لهذه المواقع كمناطق سياحية وثقافية. إلى جانب قلة الاهتمام السياسي، قد لا تكون هذه المواقع التاريخية في بعض الأحيان أولوية للحكومات أو المسؤولين السياسيين، خاصةً إذا كان هناك اهتمام أكبر بالقضايا الاقتصادية أو السياسية الحالية. إلى جانب نقص الوعي الثقافي حيث يعاني سكان الإقليم من عدم دراية كافية بأهمية المواقع التاريخية، مما يؤدي إلى قلة الزيارات والدعم المادي لهذه المواقع.

تنضاف لكل هذا التحديات البيئية والطبيعية حيث يمكن أن تواجه المواقع التاريخية التحديات البيئية مثل الفيضانات أو التآكل الطبيعي الذي يمكن أن يؤدي إلى تلفها، مع نقص التسويق والترويج قد تفتقر بعض المواقع التاريخية إلى استراتيجيات تسويق فعالة لجذب الزوار والمستثمرين، مما يؤثر على تدفق الدخل اللازم لتطويرها وصيانتها.

إن الهدف من هذه الدراسة زيادة الوعي بأهمية هذا التراث الثقافي في التنمية المحلية للمدينة والإقليم ككل، فالمدينة تتوفر على إمكانيات سياحية جد مهمة لا تستغل بتاتا في خارطة التنمية لذلك وجب وضع برنامج عن الطريق التحسيس بأهمية خلق تمويل خاص لصيانة وتطوير هذه المعالم، فمن خلال صيانتها وإعادة فتحها للزوار من شأنه أن يحقق زيادة في الدخل للمدينة وانعاش القطاع الاقتصادي، وتخفيف البطالة التي تعاني منها الساكنة، إلى جانب تعزيز دور السياحة الثقافية بشكل كبير وزيادة تفعيل دور المجتمع المدني لخلق حوار مع المسؤولين السياسيين لزيادة الاهتمام بهذه المعالم وإدماجها في مخطط التنمية.

المنهجية المتبعة:

لأجل الإحاطة بالموضوع تم نهج المنهج التحليلي لمقاربة واقع التحديات التي تعيشها المباني التاريخية والمتمثلة أساسا فيما هو سياسي، بيئي، اجتماعي وثقافي، من أجل الخروج باستراتيجيات فعالة لتطوير وصيانة وإعادة تأهيل المباني لدمجها في مخطط التنمية المحلية، مع وضع تصور واضح لإخراج المدينة من حالة الجمود الاقتصادي.

الدراسات السابقة:

من النماذج الكبرى والبارزة التعرف على المغرب لشارل دوفوكو، إفريقيا لمارمول كارباخال، وكتابات هنري تيراس تاريخ المغرب، مسجد تازة الأعظم، تازة نبذة تاريخية وأركيولوجية، وشارل أندري جوليان من خلال كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية بجزئيه. ثم بعض المصادر التاريخية التي تشكل سندا مهما للباحث في تاريخ المدينة أبرزها عمل ليونيل بالوت عصور ماقبل التاريخ في شمال إفريقيا محاولة في التحقيب، وجوزيف كومباردو منازل الكهوف بتازة ملاحظة حول فخار غياثة، وغابرييل كامبس حضارات ما قبل التاريخ لشمال إفريقيا والصحراء، والكابتن بوتي من حدود وهران إلى تازة، وإيميل إينوشي الذي قدم دراسة حول حيوانات كيفان بلغماري، وهنري باسي ثقافة الكهوف بالمغرب، وسليمان هاشي وروبيرت كوليت قدما دراسة حول طرق الدفن القديمة ومقابر إنسان مشتا أفالو، كما أضاف سليمان هاشي دراسة حول إنسان مشتا أفالو في شمال إفريقيا خلال العشرين ألفية الماضية.

قدمت أعمال أخرى حول المنطقة من خلال دراسة جوزيف كيزيربو حملت عنوان المنهجية وعصور ما قبل التاريخ الإفريقية، وأندري ماس مساهمة في دراسة الحفريات أكلة اللحوم لكيفان بلغماري، وبول بالاري استعراض عصور ما قبل التاريخ المغاربي، وجورج سوفيل صناعة عصور ما قبل التاريخ بمنطقة باب مرزوقة، وهنري طيراس تاريخ المغرب من النشأة إلى الحماية الفرنسية، والكابتان فوانو تازة وغياثة، ورايموند فوفري عصور ماقبل التاريخ لإفريقيا.

كما نشر المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال كتاب مجموع رسائل مخزنية جاءت من كتاب مبتور الطرفين أهداه له جورج سيرافين كولان ضابط في الجيش الفرنسي أرسل إلى المغرب سنة 1918 ليعمل ترجمانا في منطقة تازة بحكم حصوله على دبلوم اللغة العربية. كذلك أعمال هنري طيراس أبرزها الكتاب حول المسجد الأعظم بتازة ونشره بباريس سنة 1943.

قدمت الكتابات الاستعمارية بيبليوغرافيا هامة ذات طابع استكشافي، رغم أنها قدمت معلومات ذات طابع وأهداف استعمارية بالدرجة الأولى، وإعدادا لأوراش لاحقة بطبيعة إدارية واقتصادية وثقافية وغيرها من المعطيات كان هاجس أصحابها يراوح بين جمع قدر من المعطيات حول البلاد وتقديم التقارير، إلا أن فيها من التنظيم والعناية الذي شمل المعطيات والتحليل والتفصيل جعلها تخرج بأعمال منوغرافية سدت جزءا مهما من الفراغ الموجود في تاريخ المنطقة، وأصبحت إلى جانب مؤلفات غيرها ذات أهمية معرفية حول ماضي المنطقة، إن لم نقل أنها ذات الأهمية الكبيرة خصوصا أمام تواضع عدد الدراسات والأبحاث، فالدراسات الأجنبية حول المنطقة ركزت على الجانب العمراني والاجتماعي والثقافي الخاص بالإقليم ومناطقه المجاورة إضافة لخرائط طبوغرافية تخص تازة مع جداول تقاسمتها معطيات مجال تازة وقبائلها، خصوصا في كتاب تازة وغياثة نجد فيه هذه المعطيات إلى جانب خريطة تخص قبيلة غياثة وملحقات حول أعمال أركيولوجية ذات صلة.

تشكوا المراجع التي كتبت حول مدينة تازة من غياب التخصص، فموضوع التراث الثقافي مثلا يختلط بالسياسي في أغلب المراجع، والدراسات التي اهتمت بالتراث الأثري يغلب عليها السبب الذي بنيت لأجله المعلمة، فعوض أن نجد شرحا مفصلا عنها، نجد شرحا عن الغزوات والحروب والمعلمة سبب من أسباب حماية جند فلان من هجمات فلان وهكذا...

كما أن الدراسات التي أنجزت ليست ذات رؤى وأفكار، فلم تقدم رؤى جديدة أو أفكار مبتكرة لتحقيق استغلال أمثل لماضي المدينة في حاضرها ومستقبلها، ولا تعرض أوجه القوة والضعف والفرص والتحديات التي تواجه المدينة، كما أن اللغة والأسلوب السردي لمعطيات أغلبها سياسي لا يشد القارئ لمعرفة المزيد حول تاريخ المدينة.

أغلب الدراسات أيضا لا تعتمد المقارنة والتحليل مثلا مقارنة مدينة تازة بمدن أخرى وتحليل البيانات والمعلومات بشكل مناسب للوصول إلى استنتاجات موثوقة، إلى جانب خلو المراجع من استنتاجات نقدية وتوصيات قيمة من قبيل اقتراحات للبحوث المستقبلية حول مدينة تازة.

إن الملاحظ للتأليفات التاريخية حول مدينة تازة وأحوازها سينظر الفراغ الرهيب في المادة المصدرية المقتصرة فقط على شذرات هنا وهناك، أغلبها مأخوذة من التقارير الاستعمارية المكتوبة في شكل مؤلفات، كان الهدف منها اكتشاف المنطقة ووصفها قبل الدخول الاستعماري إليها، أو اكتشافها أثريا لنهب خيراتها، أو معرفة طبيعتها الاجتماعية لتحديد طرق التواصل وآليات الإخضاع المباشر دون مواجهات، وهذا ما لاحظناه مع سياسة الليوطي الذي كان يوفر حاجيات المجتمع كسياسة ناعمة للسيطرة.

نتائج وأدوات الدراسة:

اعتمدت الدراسة الميدانية كجزء أساسي في التوصل لهذه الدراسة، على مستوى السنتين الأخيرتين شهدت المباني التاريخية بمدينة تازة انهيار أجزاء كبيرة منها، ودخول مباني أخرى في حالة تدهور تام، يرجع ذلك إلى العوامل الطبيعية من جهة، والعوامل السياسية من قلة الاهتمام بهذا الكنز التراثي وعدم رصد ميزانية واضحة للترميم وإعادة التأهيل من جهة أخرى، إلى جانب غياب قسم الآثار في الإقليم وعدم لعب قطاع الثقافة للدور المحوري المنوط به، فالوزارة الوصية لم تقدم أي بوادر مشجعة منذ أربع سنوات مضت توضح أولوية هذا النوع من التراث الإنساني.

1- واقع المباني التاريخية بتازة. عرض لبعض النماذج:

تعاني المعالم الأثرية بتازة من إهمال ولامبالاة لحمولتها التاريخية، بسبب محدودية الوعي بتراث الأسلاف، ونظام سياسي بمجلس المدينة مبني على تحالفات المصالح الشخصية، والتخبط في تدبير الشأن العام المحلي، قدر مدينة تازة أن تكون معالمها الأثرية مجرد صنم تابت ينتظر سوء المناخ لتتدهور حالته ويتلاشى مع توالي السنين، وأن تكون تنمية الإقليم وتوظيف المباني التاريخية في تحقيق الدخل السياحي، وجعلها عنصرا من عناصر التنمية المحلية رهينة باختفاء الصراعات السياسية على السلطة لتحقيق انتعاش ذاتي على حساب مدينة أنهكها تاريخها الأسود أنها كانت مجرد قلعة لصد الأعداء، وتحولت إلى مدينة تحتضن أعداء تنميتها وجعلها في مصاف المدن المغربية الكبرى.

تتوفر مدينة تازة على موروث مهم من المباني التاريخية، بحكم موقعها الاستراتيجي من الناحية العسكرية والدفاعية، فبالنسبة لحصن البستيون، خلال دورة جماعية عادية صيف 2004 دعماً لرهان وأفق انعاش ما هو سياحي ثقافي واعادة تأهيل هذه المعلمة الاثرية التاريخية، صادق مجلس جماعة تازة على تقسيم الرسم العقاري عدد (10892- ف) الى رسمين، وتخصيص جزء منه لهذا الحصن السعدي مساحته 689 م2، ونقل ملكيته للَّجنة المغربية للتاريخ العسكري ووضعه رهن تصرفها مع تولي هذه الاخيرة عمل صيانته واستغلاله لأهداف ثقافية وسياحية. إلا انه ومنذ ابرام الاتفاق وتحقيق تفويت هذه المعلمة الأثرية، ظل حال حصن تازة السعدي على ما هو عليه كما كان منذ قرون. فلا عمل تأهيل ولا مبادرة ترميم ولا شيء يثبت أن هذا الفضاء حصل به أمر جديد داعم تدبيري مثير للانتباه في هذا الشأن. كل ما هناك استمرارية مشهد يعكس ما كان ولا يزال عليه من لامبالاة وإهمال، شأنه في ذلك شأن محيطه الأركيولوجي بأكمله، اللهم باب حديدي تم وضعه لعزله نهائياً عن كل زائر وباحث ومهتم ..، وهنا سؤال جدوى مبادرة بقدر ما هي بدون اجراءات داعمة للتنمية المحلية، بقدر ما زادت من تعميق تعثرٍ وتأخرٍ حاصلٍ في التنمية المحلية (أنويكة، بستيون تازة والتاريخ العسكري، 2019).

يعاني الحصن إلى جانب الإهمال من المسؤولين على القطاع، من التضرر جراء عوامل طبيعية تتجسد في نمو الأشجار والنباتات عليه ما يجعل بنيته تأخذ طابع الهشاشة، وأصبح عرضة للانهيار مع توالي الأيام، إلى جانب المنطقة المحيطة به والتي تبدو في حالة يرثى لها وحتى المدخل إليه غير مجهز ويعاني من تراكم الأزبال، وفضاء لتعاطي المخدرات.

ما يسجل على المديرية الجهوية للثقافة ومعها المديرية الإقليمية للثقافة بتازة، من تقصير غير مبرر ولامبالاة بواقع المدينة الأثري، نظرا لِما يظهر أنها ليست بما يجب من انخراط في حماية تراث المدينة، بحيث يظهر أنها لم تكن بما ينبغي من دور واقعي عملي تواصلي ترافعي، لوقف ما حصل من خروقات وهجوم اسمنتي غير قانوني على برج وحصن "البستيون"، والذي لم يكن يبعد عن مقرها سوى بأمتار قليلة. بخلاف مثلا ما كانت عليه الوكالة الحضرية من موقف ووعي ظاهر وخفي حرصت من خلاله على حماية تراث تازة، وهذه المعلمة الأثرية التاريخية المتفردة وطنيا التي تعود لقرون خلت. وكأن هذا الحصن بالنسبة للمديرية الإقليمية للثقافة لم يكن بقيمة، ولم يدرج ضمن مكونات ملف تصنيف تازة تراثا وطنيا (أنويكة، واقع المباني الأثرية بتازة، 2023).

بناء الخزان المائي لا بد له من رخصة، وهل رخصة المجلس الجماعي تُبطل مفعول الظهائر والمراسيم التي تحمي التراث بتازة، وهي متوفرة بالجريدة الرسمية؟ لقد جرى تشكيل لجنة كشفت المعاينة التي قامت بها لجنة من المجلس الجماعي أن الخزان المائي الذي بنته الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء بُني على مساحة 183 مترا مربعا، بطُول 23.20 مترا، وعرض 7.90 مترا، وعلو 8 أمتار. والخطر الذي يهدد حصن البستيون يتجلى في كون جدار الخزان المائي الضخم يحاذي الحصن المصنف تراثا وطنيا، إذ لا تتجاوز المسافة الفاصلة بين الخزان المائي والمعلمة التاريخية 80 سنتمترا.(تقرير لجنة المجلس الجماعي الخاص بمعاينة حصن البستيون والخزان المائي الخاص بالوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء بتازة) ما خلص إليه تقرير لجنة المجلس الجماعي يطرح سؤال الجهة التي رخصت لبناء خزان مائي جوار حصن البستيون التاريخي علما أنه لا يجوز إسناد أي بناء جديد إلى عقار مرتب، (القضائية، القانون المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، القانون 22.80، الفصل 28) ولا يمكن إنجاز أي بناء جديد في عقار مرتب دون رخصة تمنح وفقا للنصوص التنظيمية المعمول بها، ويتوقف على الرخصة المشار إليها في المقطع السابق تسليم السلطة الجماعية المختصة رخصة البناء اللازمة عند الاقتضاء. (القضائية، القانون المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، القانون 22.80، الفصل 22) ولا يمكن إدخال أي تغيير كيفما كان ولاسيما عن طريق التجزئة أو التقسيم على مظهر الأماكن الواقعة داخل دائرة العقارات المرتبة إلا بعد الحصول على رخصة إدارية (القضائية، القانون المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، القانون 22.80، الفصل 23).

إلى جانب ما حصل مع حصن البستيون، يواصل مسؤولي مدينة تازة في كتابة العار في تاريخ المغرب مع السور المريني التاريخي لباب الجمعة، جاءت عمليات الترميم الأخيرة التي تفتقر لكل الشروط العلمية في ترميم المباني التاريخية، مع إسناد المهمة لمجموعة من الفاشلين الذين أسندوا المهمة بدورهم إلى مقاولة اعتادت ربما بناء مباني قصد الربح المادي، وبعيدة كل البعد عن التعامل مع ثروة تاريخية افتخر بها كتاب التاريخ بالمغرب ومدينة تازة على الخصوص.

عمليات الترميم كانت بدون دراسة بكل المقاييس، يتضح هذا مع انهيار جزء من السور التاريخي مع أول طلة للأمطار على المدينة، سقوط أمطار الغيث أسقط قناع الوعود الكاذبة، والعبث في تسيير الشأن المحلي للإقليم، فمشروع ترميم أخذ ملايين الدراهم جاء معه سقوط للسور مع أول اختبار مع الطبيعة.

إلى جانب ما سبق ذكره تحولت الأسوار التاريخية إلى مطارح لمخلفات البناء، إلى جانب تواجد السوق الأسبوعي المخصص يوم الأحد كل أسبوع بجانب أسوار وأبراج تاريخية، هذا دون إغفال ظاهرة إقامة أعمدة للباعة ملتصقة بالأسوار التاريخية، وربط الدواب بها والمجلس الجماعي لا نقول يتفرج هو حتى أشبه بغير الموجود بتاتا ومندوبية وزارة الثقافة منشغلة بحكم تموقع إدارتها داخل المعهد الموسيقي بإقامة حفلات غنائية ينظمها أساتذة المعهد باحتضان كامل ورعاية منها.

2- المدرسة الحسنية المرينية:

جرى تفويت المعلمة التاريخية المعروفة بالمدرسة الحسنية المرينية منذ أزيد من ثماني سنوات لإحدى الجمعيات التي تربطها علاقات غير معروفة بالمجلس الجماعي بتازة دون أي مبرر قانوني واضح، في خطوة عدت سابقة من نوعها عبر الزمن المغربي، إذ لم يحدث في حدود علمنا وفي أي مدينة مغربية أن تم تفويت معلمة تاريخية لجمعية بعينها، وهي جمعية متخصصة في فن السماع والمديح، لأن تلك المعالم تقع تحت الوصاية المباشرة لوزارة الثقافة، وضمن مسؤولياتها الواضحة، وليس من حق أي جهة السطو عليها تحت أي مبرر كان.

هذا يزيد التأكيد على التخبط الذي يعيشه المجلس في تدبير الشأن المحلي للمدينة، ويزيد التساؤل حول عدم تدخل الفعاليات المدنية من جمعيات ومعارضة في هذا الأمر الجلل، كما يزيد التساؤل أيضا حول علاقة تازة بمركز الجهة، حيث لا يجري مراقبة المدينة في إطار تطبيق الجهوية الموسعة من طرف مجلس جهة فاس مكناس وما يحدث فيها من خروقات واضحة في التدبير.

3- موقع كيفان بلغماري:

تعاني المغارة التي إكتشفها الفرنسيون سنة 1914 إلى سنة 1916 وأسفرت عن عدة لقى أثرية من فخار وعظام حيوانية وبشرية، يفيد الضابط كومباردو وهو المسؤول عن عمليات الاكتشافات بأنه خلال البحث في المدخل الخارجي للمغارة، اكتشف الفرنسيون آثارا مميزة للعصر النيوليتكي Néolithique أو ما يطلق عليه الجيولوجيون، ومؤرخو الحقب السحيقة العصر الجيولوجي

المتأخر/ الإيبيروموريزي (لأنه شمل شبه الجزيرة الإيبرية وشمال إفريقيا) وهو الفترة السابقة مباشرة على ظهور الحضارة البشرية، وتمتد بين 10.000 و4000 سنة قبل الميلاد، وفي الرواق الذي اكتشفه كومباردو ومن معه، لاحظ وجود نوازل Stalactites وصواعد Stalagmites مهشمة جزئيا، مما يفيد بتدخل يد الإنسان البدائي الذي كان يقطنها ومن أتى بعده أيضا، وحينما تمكن الفرنسيون من تحييد المكان وإزالة ما علق به، سرعان ما اكتشفوا أشياء لافتة للنظر Remarquables بتعبير كومباردو. هذا الموقع الأركيولوجي يحتاج إلى مزيد من الأبحاث والتنقيب الأثري لأنه يحمل معلومات مهمة حول ماضي الإنسان. (Compardou, 1917)

لكن بالطبع مجلس جماعتنا لم يقدم شيئا سوى بوابة وضعت للمغارة دائمة الإغلاق ومصباح إنارة عند المدخل فقط رغم أنها سبق وأن خرجت ضمن مشروع التهيئة.

4- سبل إدماج المعالم الأثرية بتازة في السياحة الثقافية:

أخذ موضوع ترميم المباني التاريخية واستثمارها في التنمية المحلية اقتصاديا واجتماعيا يكتسي طابع الجدية والأهمية، حيث توجد العديد من المواقع الأثرية في العالم التي تحكي قصصا عن الحضارات القديمة، وتاريخ الإنسانية. وبالنسبة للدول النامية فإن هذه المواقع تلعب دورا مهما في التنمية السياحية والاقتصادية. حيث تمثل المباني التاريخية جزءًا مهمًا من الهوية الثقافية للمجتمع والاهتمام بها يسهم في الحفاظ على التراث والثقافة المحلية. كما يشجع على توطيد الهوية الوطنية والمجتمعية ويعزز الوعي بالتاريخ والأصول المشتركة.

إن المباني التاريخية تمثل موروثًا حضاريًا لا يقدر بثمن، وهي تلعب دورًا حيويًا في تعزيز التنمية المحلية. يجب على المجتمعات المحلية والحكومات والمنظمات ذات الصلة الاستثمار في الحفاظ على هذا التراث واستغلاله بشكل استدامة لضمان تعزيز التنمية والازدهار المحلي. إذ يأتي السياح من جميع أنحاء العالم لزيارتها والاستمتاع بتراثها الثقافي والتاريخي، فالمواقع الأثرية هي تحفة تاريخية تعكس تاريخ الدول والحضارات القديمة، وهي أيا تعتبر مصدرا هاما للتنمية والترويج السياحي. فمن خلال استثمار هذه المواقع يمكن توفير فرص عمل وتحسين اقتصاد المنطقة القريبة منها، كما يمكن أن تنشط الحركة السياحية إلى المنطقة. وإدراج المباني التاريخية في مخطط التنمية يتطلب نهجًا شاملاً يركز على الحفاظ على التراث الثقافي وتعزيز التنمية المستدامة.

المباني التاريخية ليست مجرد هياكل من الماضي بل تمثل مستقبلاً للمجتمعات المحلية، وتعتبر جزءًا مهمًا من الثقافة والتاريخ لأي منطقة أو مدينة. وهي رموز للهوية والتراث المحلي، ولها تأثير كبير على التنمية المحلية. حيث يمكن استخدام المباني التاريخية كأدوات تعليمية وتثقيفية. يمكن للمدارس والجامعات تنظيم زيارات تعليمية للمباني التاريخية لتعزيز المعرفة والفهم لدى الشباب. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تكون هذه المباني مكانًا للفعاليات الثقافية والفنية التي تعزز الفهم العام للتراث المحلي. أيضا تسهم المباني التاريخية في تحفيز التفاعل الاجتماعي وتعزيز الروابط في المجتمع المحلي. تصبح هذه المباني مركزًا للأنشطة المجتمعية والثقافية وتجمع الأفراد والجماعات معًا. كما يمكن للمعالم استقطاب زوار من خارج المدينة حيث تعتبر السياحة الثقافية واحدة من القطاعات الاقتصادية الرئيسية التي يمكن أن تستفيد من المباني التاريخية. يتوجه السياح إلى المدن والمناطق التي تحتوي على معالم تاريخية فريدة من نوعها. وبالتالي، يمكن للمباني التاريخية أن تكون نقطة جذب تزيد من عدد الزوار والإيرادات السياحية، مما يعزز من الأعمال المحلية ويزيد من فرص العمل. ويعتبر السياح الذين يزورون المواقع الأثرية من مصدر كبير للإيرادات. يقوم الزوار بشراء تذاكر الدخول، وينفقون على الفنادق، والمطاعم، والتسوق المحلي، مما يسهم في تعزيز اقتصاد المنطقة.

عند وصول الزائر للمعلمة التاريخية، فإن أول ما يتعرف عليه هو تاريخ تأسيسها، ونوعية البناء، والغرض من بنائها، وبالتالي فزيارته تدمج بين السياحة واكتساب مزيد من الثقافة حول الهوية وخصوصية المنطقة، والثقافة العامة للبلاد بشكل عام، فطرق البناء أيضا تدخل في منطلق الهوية والخصوصية عند كل مجتمع.

أمام ما تشهده معالم وآثار مدينة تازة من تخريب وإتلاف وتدمير وتبخيس (متعمد أحيانا) اقترح في مركز ابن بري التازي للدراسات والأبحاث وحماية التراث وهو يجمع ثلة من الباحثين والغيورين على مصالح المدينة ما يلي:

تنقية الحيز الجنوبي للأسوار التاريخية المرينية ومنع رمي نفايات البناء والأزبال وترميم الأجزاء الغربية والجنوبية للأسوار المرينية المزدوجة ووضع سياج حول الخندق التاريخي بعد تهيئته وإزالة البقايا والأزبال، مع إمكانية تجهيز الفضاء المعني بالإنارة المناسبة وتحويله إلى منتزه أثري. ثم إعادة الاعتبار للمنطقة الأركيولوجية غرب المدار الحضري العتيق، والواردة بوضوح في تصميم التهيئة وكذا تصميم الإنقاذ، والتي تعود إلى آلاف السنين بكهوفها وتجويفاتها وصخورها ولقاها واستكمال تهيئة فضاء باب الجمعة التاريخي في حيزه العلوي أسوة بالمجال السفلي، الذي تمت تهيئته منذ سنوات. وكذلك ترميم وتهيئة حصن تازة السعدي وإنقاذه من الاندثار، بتحويله إلى متحف إقليمي، يضم صورا وأدوات وأسلحة ومنتجات تقليدية تميز المنطقة، وإمكانية تجهيزه بالإنارة الملائمة، مع فتحه أمام الزوار الأجانب والمغاربة بحراسة خاصة، ومن ثمة إدماجه في المواقع المصنفة وطنيا ويعزز ذلك تحويله إلى متحف أثري ثقافي وعسكري مع تهيئة الساحة المجاورة والقصبة الواقعة جهة الغرب من البستيون السعدي وتجهيزها بالإنارة وتحويلها إلى ساحة عروض مسرحية وفنية، كما يمكن إعداد مقهى مناسب للفضاء ومجاور للساحة. مع إمكانية تحويل "قصبة تازة" أو جزء منها إلى قاعة للعروض التشكيلية والصور الفوتوغرافية. وتحرير المدرسة الحسنية المرينية من التفويت الجائر الذي استهدفها، وإعادتها إلى وضعها القانوني والطبيعي كواحدة من معالم تازة التاريخية الهامة. وتهيئة المدرسة الحسنية وتحويلها إلى فضاء عمومي للقراءة، أو متحف للمخطوطات والوثائق والكتابات حول تازة وإقليمها وأعلامها (بري، فبراير 2023). ثم إصلاح مدرسة المسجد الأعظم أو مأوى الطلبة، وإزالة التعميدات المشوهة للمجال وترميمها، ومن ثمة تحويل خزانة الجامع إليها، مع فتحها لعموم الباحثين والمهتمين. مع إصلاح وترميم الدور العتيقة والآيلة للسقوط وتحويلها إما إلى قاعات للعروض أو للمناسبات والاحتفالات، وترميم الفنادق التي ما زالت محافظة على طابعها التقليدي وتحويلها إلى فضاءات متحفية. وتهيئة أزقة المدينة العتيقة واختيار لون موحد لها، وتأثيثها بلوحات تشكيلية وأغراس مختلفة وملائمة لمجال تازة العتيقة، وإصلاح وتثمين المقاهي العتيقة بتازة العليا، مع تحويل مدار سيدي محرز وما جاوره إلى منتزه عمومي، يشكل متنفسا حقيقيا لساكنة تازة، وتنقية واد الأربعاء من أشكال التلوث، وتجهيزه بالمقاعد والمقاهي الملائمة (بسكمار، 2023).

إن الوضعية المتردية التي تعاني منها المدينة العتيقة لتازة على غرار باقي الأنسجة العتيقة على مستوى التراب الوطني دقت ناقوس الخطر الذي يهدد هذا التراث العمراني مما جعل الجهات المعنية بهذا المجال تضع تصورا شاملا للتأهيل ببرنامج للتخطيط تلاه اقتراح العديد من التصورات التي من شأن إنجازها إن تظافرت الجهود أن ترقى بهذا النسيج وتأهله ليلعب الدور المنوط به. وهذا البرنامج نشره ثلة من الأساتذة والباحثين الغيورين على الشأن المحلي للمدينة ولعبوا دورا كبيرا بإمكانيات ضئيلة جدا في التعريف بالمدينة على المستوى المحلي والوطني، أو من خلال ندوات دولية من داخل الكلية متعددة التخصصات بتازة التي تعرف مجهودات جبارة يقوم بها الأساتذة الباحثون في خدمة المدينة بتأطير الطلبة ببحوث تسهم في التعريف بمدينتهم، أو من خلال لقاءات وندوات على مستوى الكلية تزيد من الإشعاع الثقافي على مستوى الإقليم ككل.

في ما يلي سنبسط جزءا من عمل السادة الأساتذة والذي تمثل في مشروع للتخطيط والاقتراحات لعلاج الاعوجاج في التدبير والتأخر في عجلة التنمية الذي ضرب هذه المدينة:

أ- التهيئة البيئية والسياحية:

لقد تجلت أهداف هذا المشروع في:

- ✓ تهيئة المنطقة المحيطة بالمدينة - كيفان بلغماري.
- ✓ إقامة منتزه أركيولوجي وحيواني.
- ✓ رد الاعتبار لكهوف بلغماري وإدماجها ضمن المدار السياحي.
- ✓ الحفاظ على الحزام الأخضر المحيط بالمدينة.

ولتحقيق هذه الأهداف تم التركيز على المشاريع التالية:

- ✓ الإنارة العمومية من خلال اختيار إنارة مناسبة لإبراز المعالم التاريخية وكذا طمر الأسلاك الكهربائية داخل الأسوار.
- ✓ تهيئة منطقة بين السطاير (رياض الأندلس)، وذلك من خلال تهيئة حديقة عمومية وترميم الأسوار مع حماية الجزء المتبقي من الخندق.

- ✓ تهيئة منطقة الأنشطة السياحية (المنظر الجميل) من خلال تهيئة فضاء سياحي مطل على مناظر سياحية مع بناء مركب سياحي.

ب- التهيئة السوسيوثقافية:

تجلت أهداف المشروع في:

- ✓ ترميم برج البستيين (توظيفه كمتحف للسلاح).
- ✓ تهيئة ساحة الأنشطة الثقافية.
- ✓ تهيئة مسرح الهواء الطلق.
- ✓ رد الاعتبار لمدرسة الجامع الكبير من خلال ترميم المدرسة وتخصيصها كمرفق ثقافي (خزانة تابعة للجامع الكبير) ((اشويطر، 2020، الصفحات 112-128).

5- توصيات:

- التعجيل بإزالة السوق الأسبوعي الخاص بيوم الأحد والذي يخصص فوق منطقة أثرية، ويوجد بمنطقة حيوية بالمدينة القديمة تازة العليا.
- ترميم عاجل لبرج البستيون وفتحه في وجه الزوار من أجل تعزيز السياحة الثقافية.
- تأهيل الدور العتيقة والمباني الآيلة للسقوط بالمدينة القديمة.
- إعادة ترميم الفنادق القديمة بتازة العليا.
- إعادة بناء جزء السور المهدم من دروج باب الجمعة التاريخية.
- تأهيل عاجل وإعادة فتح مغارة افريواطو التاريخية بمنطقة باب بودير.
- صيانة وتأهيل كيفان بلغماري وفتحها في وجه الدراسة الأركيولوجية الميدانية لما تتوفر عليه من لقى أثرية ضاربة في التاريخ، مع فتحها في وجه الزوار والباحثين.
- تعزيز وتأطير دور فعاليات المجتمع المدني للقيام بدورها الحقيقي في الدفاع عن مصالح الإقليم عوض المنفعة الشخصية.
- تأهيل منتزه تازكة الوطني ودعمه بوسائل الراحة للزوار، فالمنتزه يفتقر لكل شروط السياحة الجبلية.
- التعجيل بإزالة جمعية فن السماع والمديح من المدرسة الحسنية المرينية وفتحها في وجه الزوار.

Bibliographie

- Compardou, J. (1917). *la grotte de kifane bel Ghomari.* bulltein de la scociete d'archéologie d'Oran.
- أ عبد الواحد بوبرية، البزوي جواد، محمد، أشويطر. (2020). *الحكامة الترابية وتأهيل المدن العتيقة: حالة مدينة تازة (المغرب)*. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 4، العدد 3، 30 مارس 2020 م.
- المجلس الأعلى للسلطة القضائية. (الفصل 22). *القانون المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، القانون 22.80.*
- المجلس الأعلى للسلطة القضائية. (الفصل 23). *القانون المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، القانون 22.80.*
- المجلس الأعلى للسلطة القضائية. (الفصل 28). *القانون المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، القانون 22.80.*
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. (2016). *اقتصاديات الثقافة*. تقرير المجلس، إحالة ذاتية، رقم 25، 2016.
- بالجهوية المتقدمة بالمغرب. (2014). *الحكامة الترابية ورهانات التنمية المحلية*. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، المغرب، عدد 34، ط 1، 2014،.
- عبد الإلاه بسكمار. (2023). *مركز ابن بري التازي للدراسات والأبحاث وحماية التراث.*
- عبد السلام أنويكة. (2019). *بستيون تازة والتاريخ العسكري*. جريدة هيسبريس، 19 ماي 2019.
- عبد السلام أنويكة. (2023). *واقع المباني الأثرية بتازة*. جريدة هيسبريس 9 يناير 2023.
- عبد الواحد بوبرية، البزوي جواد، محمد اشويطر. (2020). ، *الحكامة الترابية وتأهيل المدن العتيقة: حالة مدينة تازة (المغرب*. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 4، العدد 3، 30 مارس 2020 م.
- مركز ابن بري. (فبراير 2023). *مقترحات حماية المآثر التاريخية بتازة*. مجلة زمان.